جمهورية مصر العربية	٢ من محرم ١٤٣٩هـ
وزارة الأوقاف	٢٢ من سبتمبر ٢٠١٧م

(١)

دروس من الهجرة النبوية

الحمد لله ربِّ العالمين، القائلِ في كتابهِ الكريم:{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فلاشك أن هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حدث تاريخي عظيم غير مجرى التاريخ البشري ، فقد كانت الهجرة فرقانًا بين الحق والباطل ، وتحولاً إيجابيًّا نحو بناء الدولة المدنية على أسس راسخة من العدالة والمساواة ، وحرية الاعتقاد ، وحفظ الكرامة الإنسانية ، وترسيخ لفقه التعايش السلمي ، وتأسيس للعيش الإنساني المشترك .

ونظرًا لما يمثله حادث الهجرة من قيمة في نفوس الصحابة (رضوان الله عليهم)، فقد استقر رأيهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على أن يكون العام الذي وقعت فيه الهجرة هو بداية التأريخ الإسلامي ، فكان رأيهم هذا مع ما فيه من حكمة دليلاً على أن الهجرة النبوية المشرفة أهم حدث في تاريخ المسلمين .

إنَّ المتأمل في هذا الحدث التاريخي العظيم يستنبط منه الكثير من الدروس والعبر التي تعد نبراسًا ينير للأمة طريقها ، في شتى مجالات الحياة ، **ومن هذه الدروس**:

* **حسن التوكل على الله (عزّ وجلّ) مع حسن الأخذ بالأسباب:** إذ إن الإسلام دين لا يعرف التواني والكسل والخمول، ولا يعرف التواكل ، بل يحارب كل ذلك وينبذه، ويدعو إلى التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، ولقد ضرب نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حسن التوكل على الله (عز وجل) حين قال له الصديق (رضي الله عنه) وهما في الغار : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تحت قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ : مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه : {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، ومع هذا اليقين في الله ، وصدق التوكل عليه نراه (صلى الله عليه وسلم) يتخذ من الأسباب ما يعد أنموذجًا لحسن التوكل وفهمه فهمًا دقيقًا ، وبما يؤكد أنه لا تناقض بين الأمرين، بل إن حسن التوكل على الله يقتضي حسن الأخذ بالأسباب ، قال سهل بن عبد الله التستري : التوكل على الله حال النبي (صلى الله عليه وسلم)، والكسب سنته، فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته.

في هذه الرحلة المباركة يُعلّم النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته كيف يكون التخطيط المحكم، والترتيب الدقيق ضرورة من ضرورات النجاح، وتخطي الأزمات، فقد جهز النبي (صلى الله عليه وسلم) راحلتين ، واختار الصاحب ، وكان الخروج ليلاً من بيت أبي بكر (رضي الله عنه) ، واختار دليلاً ماهرًا إيمانًا منه (صلى الله عليه وسلم) بتقديم الكفاءات واستثمار الطاقات مهما اختلفت الأفكار والرؤى أو حتى العقائد ، ثم كلف عامر بن فهيرة (رضي الله عنه) بتتبع آثارهما للعمل على إخفائها

أخذًا بالأسباب وهو يدرك غاية الإدراك أن الله كفيل به وبصاحبه، غير أنه (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يعلمنا أن سنة الله تعالى في كونه تقتضي الأخذ بالأسباب ثم تفويض الأمر لله (عز وجل) .

* **ومن الدروس المستفادة من الهجرة ترسيخ القيم الإنسانية والتحلي بمكارم الأخلاق** التي قامت عليها الرسالة المحمدية : ومن مكارم الأخلاق التي نتعلمها من الهجرة خلق الأمانة ، والتي تعد من أبرز ملامح الدين الإسلامي ومن أهم أخلاقياته ، ومن ثَمَّ أمرنا الله (عز وجل) بها ، فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}.

ولقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في أعلى صوره وأكمل معانيه في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، ولم يجدوا أفضل منه أمانةً وصدقًا ووفاءً بالعهد ومحافظة على الحقوق ، فكانوا لا يستأمنون غيره على أموالهم ونفائسهم ، وحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ، وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعة عنده إلى أهلها، وهم قوم ناصبوه العداء ، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابَه وأخذوا كل ما يملكون؛ ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}، وقَالَ(صلى الله عليه وسلم): (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

ومن كريم الأخلاق التي نتعلمها من الهجرة خلق الإيثار ، والذي يعني : تقديم الغير على النفس وتفضيله فيما قد يحتاج الإنسان إليه، وهو خلق لا يتحلى به

إلا أصحاب النفوس السوية، والفطر النقية، ويتجلى لنا هذا الخلق في أسمى معانيه في الهجرة في موقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وليس أدل على ذلك من موقف عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع (رضوان الله عليهما)، فقد تآخيا في الله (عز وجل) استجابةً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودعوته للتآخي بين المهاجرين والأنصار ، فكانا مثلًا فريدًا في الإيثار والعفة ، فَقد قَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ لعبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنهما) : إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا ، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ: فَقَالَ لَهُ عبدُ الرحمنِ : (لا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ) ، فدلوه على سوق بني قينقاع، فذهب وتاجر وربح ، حتى صار من أغنياء المسلمين.

وهذه العفة لم تكن في عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) وحده ، بل كانت سمة في المهاجرين جميعًا رغم فقرهم وشدة حاجتهم ، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، كما أن الكرم والإيثار كان سمةً للأنصار جميعًا ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، هذه الأخوة حين جمعت قلوب المسلمين صارت الأمة كيانًا متماسكًا قويًّا ، أما حين خفتَ ضوؤها وتغلبت الأثرة والأنانية على كثير من أبنائها فحل الضعف في المجتمع وضعُفَ كيان الأمة.

* **ومن أهم دروس الهجرة**: التحول الإيجابي نحو البناء والتعمير ، التحول من الجهل إلى العلم ، ومن البطالة والكسل إلى الجد والعمل والإتقان ، التحول إلى

بناء الدولة وبناء الحضارة، لأن ديننا دين البناء والتعمير وعمارة الكون ، قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}،فأمتنا أمة عمل لا أمة كسل، أمة بناء لا أمة هدم أو تخريب، أمة حضارة، ولم يكن التخلف أبدًا سمة من سماتها، فحري بكل مسلم يحب دينه ويعتز به أن يعمل من أجل رفعة دينه وعزة وطنه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

من أهم الدروس المستفادة من الهجرة النبوية : **ضرورة فهم الواقع والتكيّف معه وبناء الحكم على الفهم الدقيق له** ، فعندما أسلم صفوان بن أمية قِيلَ له وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ : إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فَقَالَ: لَا أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَتَّى أَقْدُمَ الْمَدِينَةَ. فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : (مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ؟) ، قَالَ: قِيلَ إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ فَقَرُّوا عَلَى مِلَّتِكُمْ ، فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ).

وفي هذا تأكيد لما يقرره أهل العلم من أن الفتوى قد تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الحال ، فبعد ما كانت الهجرة مطلبًا ، حيث يقول الحق سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} ،

تغير حكم الهجرة بعد فتح مكة، بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ).

وإذا كان أمر الهجرة المكانية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة قد انتهى بفتح مكة ، فإن كل معاني الهجرة النبيلة لا زالت قائمة وهي مما يجب علينا أن نحرص عليه ، كحسن الأخذ بالأسباب تعلمًا ، وتعليمًا ، وتخطيطًا ، وعملاً ، وإنتاجًا، وإتقانًا ، بالتحول الإيجابي من البطالة والكسل إلى الجد والعمل والإتقان ، ومن الأثرة والأنانية والعصبية الجاهلية إلى الإيثار والإخاء الإنساني الصادق ، والإيمان بالتنوع، وحق الإنسان في الاختيار، وحرية المعتقد ، وعلاقات حسن الجوار ، والعمل على بناء الإنسان إيمانيًّا ، وعلميًّا ، وفكريًّا ، وسلوكيًّا ، وأخلاقيًّا ، واقتصاديًّا ، واجتماعيًّا بناءً سليمًا راسخًا ، يبني الدولة ويصنع الحضارات ، ويحقق صالح البشرية جمعاء ، ويحفظ كرامة الإنسان كإنسان، قال (صلى الله عليه وسلم) : (... وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

وختامًا: نذكر بأن شهر الله المحرم أحد الأشهر الحرم ، ويستحب الإكثار من الصوم فيه عامة ؛ قال (صلى الله عليه وسلم): (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ)، وصوم يوم عاشوراء خاصة؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم): (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) ، ولما قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ رَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: (مَا هَذَا) ، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ: (فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ) فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): " حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى

الله عليه وسلم) يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ) ، أي: صمنا التاسع مع العاشر ، فمن السنة صيام العاشر من المحرم ، ومن تمامها وكمالها صيام التاسع والعاشر منه.

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يجعل العام الهجري الجديد عام خير وبركة ونصر وفتح لمصر وسائر بلاد المسلمين.